

ريادة المرأة للقصة والرواية في العراق سافرة جميل حافظ اختياراً

علي إبراهيم محمد

قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جمهورية العراق/ جامعة بابل

ali50ibrahim@gmail.com

معلومات البحث
تاريخ الاستلام : 2020 / 5 / 10
تاريخ قبول النشر : 2020 / 6 / 15
تاريخ النشر : 2020 / 7 / 14

المستخلص

تناول البحث مقدمة عن بداية القصة والرواية في العراق ومن هو رائدها. والمراحل التي تطور فيها هذا الفن والصعوبات التي رافقت هذا البحث ودور المرأة القاصة والروائية التي تأخرت عن زميلها الرجل بسبب الأمية وخصوصاً بصفوف النساء إلى جانب الوضع الاجتماعي وحسب المعلومات المتيسرة لم يكن هناك مساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات. وتطرقنا إلى عدد الذين كتبوا فن السرد القصصي بين 1922-1960 وأشرفنا إلى كتبهم المنشورة وإلى عدد من القصص التي نشرتها الصحافة العراقية في المدة المذكورة. وحللنا المجموعة للروائية والقاصة (سافرة جميل حافظ) (دمى وأطفال) الصادر عام 1956 وتوقفنا عند كل قصة من تلك قصص وجماليات سردها وموضوعاتها التي أكدت الواقع العراقي إبان الخمسينات ومعانات سكان المناطق الشعبية في بغداد ارتباطاً بالحرب العالمية الثانية والاحتلال البريطاني للعراق.

وفي الخاتمة أشرفنا إلى النتائج التي توصل إليها البحث وأهمها: اعتقاد الباحث بأن (سافرة جميل حافظ) هي الرائدة الأولى بناء على ما كتبه من قصص فنية وظفت فيها جمالية اللغة العربية والأساليب الحديثة مثل الحكمة والمعادل الموضوعي والحوار الداخلي والمشهد الحوارية فضلاً عن مواصلتها حضوراً وكتابة ونشر...

الكلمات الدالة: السرد، المعادل الموضوعي، الريادة، الرواية، القصة.

Women Pioneering of the Story and Novel in Iraq Safra Jamil Hafiz a Sample

Ali Ibrahim Muhammad

Arabic Language Department/College of Education for Humanities
The Republic of Iraq University of Babylon

Abstract

The research dealt with an introduction to the beginning of the story and the novel in Iraq and who is the pioneer. The stages in which this art developed, the difficulties that accompanied this research, and the role of the female storyteller and narrator who was late for her male colleague because of illiteracy, especially among women's classes, in addition to the social status and according to available information, there was no gender equality in rights and duties. We touched on the number of those who wrote the narrative narrative art between 1922-1960 and referred to their published books and a number of stories published by the Iraqi press in the mentioned period. We analyzed the collection of novelist and novel (Safrah Jamil Hafez) (puppets and children) issued in 1956, and we stopped at each of these stories and aesthetics and narratives that narrated and topics that confirmed the Iraqi reality during the fifties and the suffering of the people of popular areas in Baghdad in connection with the Second World War and the British occupation of Iraq.

In the conclusion, we referred to the findings of the research, the most important of which are: The researcher's belief that (Safra Jamil Hafez) is the first pioneer based on what she wrote of artistic stories in which she employed the aesthetic of the Arabic language and modern methods such as plot, objective equivalency, internal dialogue and dialogue scene as well as its continuation in presence, writing and publishing ...

Keywords: narration, objective equivalent, leadership, narration, story

by University of Babylon is licensed under a Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH)

[Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

المقدمة

لم تتواجد المرأة في البدايات منذ أن انطلقت تجربة " قصص الرؤيا (1909-1921) كان جميع كتابها رجالا وكان قمة ما وصلت هذه المرحلة على يد عراقي أمين الذي اقترب كثيرا من القصة القصيرة الناضجة في قصته الأخيرة: (وقفة على ديبالي وحديث مع فينوس)، وقد انتشرت قصص الرؤيا بما تحمل من رمز في نقد المجتمع بالرغم مما تحمله تلك الرموز من سذاجة إلا أنها كانت الوسيلة المتاحة للتخلص من المضايقات الاجتماعية والسياسية.

ولابد من التنويه؛ إن شكل قصص الرؤيا ليس عراقي المنشأ بل جاءنا من تركيا عند انتشار رواية الرؤيا للأديب التركي (نامق كمال) والتي نقلها إلى اللغة العربية - بعد إعلان الدستور العثماني 1908- الشاعر معروف الرصافي.

ولم تكن المرأة موجودة عندما بدأت ريادة القصة عام 1921 على يد محمود أحمد السيد والذي عده د. عبد الإله أحمد رائد القصة القصيرة والرواية في العراق على الرغم من أن سليمان فيضي سبقه في كتابة الرواية الايقاظية، واختلف النقاد في تجنيس هذا العمل فعدّه بعضهم رواية بينما ذهب آخرون إلى تسميته مسرحية.¹ وأنا أختلف مع الفريقين لأنني وجدت العمل ينقصه الكثير لكي يكون مسرحية أو رواية بمفهومهما الحديث بل هو أقرب إلى قصص الرؤيا والفرق بين هذا العمل وتلك الأعمال أن سليمان فيضي ذكر في المقدمة أن ما بين يدي القارئ هي مجرد رؤيا رآها في منامه. بينما يشير كتاب قصص الرؤيا إلى ذلك ضمن متن القصة ذاتها.

وفي الحقيقة لم أجد قصة لأي امرأة ترافقت مع المرحلة التي ذكرناها عدا قصة واحدة بتيمة لـ "هيام الوسواسي اسمها (بين اليأس والرجاء)² وجاءت متأخرة أيضا حيث نشرت في 22 كانون الثاني 1923. ولكن سافرة جميل حافظ تقول " شهدت الساحة الأدبية قبلي بضع أدبيات ولكن لم يستمررن مع الأسف. سمعت أن هناك أدبية عراقية كتبت رواية منذ القرن الثامن عشر لا أذكر اسمها الآن. وبعدها جاء اسم (ديزي الأمير) و(ناجية حمدي) و(ليلي عبد القادر) ثم من جيلي (سهيلة داود سلمان) - ما زلت أحتفظ بكتاب لليلي عبد القادر.³

ولكني لم أر للقاصة (ديزي الأمير) قصة واحدة ضمن حقبة الريادة النسوية ولا قبلها بل ظهرت في الستينيات عندما كتبت مجموعتها القصصية (البلد البعيد الذي تحب) عام 1964 وتبعها في العام ذاته بمجموعتها (وتم تعود الموجة) وكذلك القاصة سهيلة داود سلمان التي نشرت مجموعتها الأولى (انتفاضة قلب) عام 1965.⁴

وأرى أن الريادة لا تعني الأسبقية في النشر فقصة قصيرة تنشر في صحيفة أو مجلة ثم تختفي صاحبها عن الساحة الأدبية بشكل نهائي، دون أن يكون لها تأثير على جيل من بعدها، ودون أن يذكرها النقاد أو يكتبوا عنها لا تعد رائدة وهنا لا بد إن نتذكر المعركة التي جرت بين بدر شاكر السياب ونازك الملائكة مع العلم أنهما علمان من أعلام التجديد. ولكن خسر المعركة كلاهما لأنهما ركزا على الأسبقية في النشر، وحسم النقاد الأمر عندما جعلوا من السياب الرائد الأول بناء على غزارة ما كتبه ونوعيته. ولم يبخسوا حق نازك الملائكة ولا بلند الحيدري ولا عبد الوهاب البياتي فهم الرواد الأربعة للشعر الحديث.

هذا الاستطراد ليس خارج الموضوع، إنما في صلبه، مادامنا نخوض في قضية ريادة المرأة العراقية للقصة والرواية وأمامنا كم من الكاتبات الرائدات بلغ عدد نتاجهن أكثر من ثمانين قصة وبعضها سلسلة قصص

- منشورة في مجلات وصحف كثيرة لم تعد موجودة في واقعنا الجديد، فضلا عن خمسة عشر كتابا مطبوعا هذا الكم وهذه الأسماء تدعونا لأن نضع معايير للمفاضلة وبعائدي من أهمها:
- 1- كفاءة وفنية المنجز، وهل يشكل علامة فارقة في المنجز النسوي والإبداعي بشكل عام أم هو جزء من هوية طارئة. أو تجربة حياتية شخصية خالية من البعد الاجتماعي.
 - 2- الموهبة وإدامتها من خلال مزيدا من الإبداع.
 - 3- تجربة حياتية راسخة في المجتمع العراقي بجوانبها المختلفة.
 - 4- التأثير الفعال بالمنجز العالمي وما أفرزته الحياة في البلدان المتقدمة، وغيرها... واستيعاب حركة التوير وتأثيراتها على واقعنا الثقافي التي تؤثر بالتجديد في الفكر والسياسة والاقتصاد والثقافة والعلوم.
 - 5- هل المنجز مطبوع على شكل كتاب مسجل بتسلسل في دار الكتب والوثائق الوطنية في بغداد أم هو مخطوطة يدوية أم نتاج مبعثر في صحف كثيرة؟
 - 6- هل لصاحب المنجز، تجربة أدبية متميزة في الوسط الثقافي؟ تجعله يستحق صفة الريادة؟
 - 7- هل هناك منازع على الريادة من مجاليه؟ مما يتطلب من الباحثين والنقاد دراسة النتاج دراسة علمية واختيار الرائد الحقيقي بموضوعية بعيدا عن التأثيرات الجانبية المجافية للعلمية لإحقاق الحق في هذا الموقع المشرف.
 - 8- ليس بالضرورة أن تكون الريادة فردية، فقد تكون جماعية أو مدرسة من المدارس مثل مدرسة أبوللو وغيرها.
 - 9- وفقا لهذه الأفكار وغيرها سننطلق في البحث عن ريادة المرأة العراقية للقصة والرواية في العراق. الطريق طويل وشاق لكن المهمة نبيلة وتستحق العناء والمثابرة لإنصاف المرأة القاصة والروائية العراقية. أحاول أن أضع لبنة في أساس هذا المسعى فإن وفقت في إتمام البناء فخير على خير وأن تعثرت خطواتي فيكفيني فخرا أنني قد بدأت ...

القصص التي كتبها القاصة العراقية (1923-1960)

في البداية عملت جردا لما كتب من قصص وروايات عراقية اعتمادا على كتاب الدكتور عبد الإله أحمد فهرسة القصة والرواية والدكتور عمر محمد الطالب وآخرين ومن خلال بحثي في المجالات والصحف القديمة في دار الكتب والوثائق في بغداد فوجدت أن القاصة العراقية (هيام الوسواسي) هي أول امرأة كتبت أولى قصصها عام 1923 وكانت بعنوان (بين اليأس والرجاء)⁵.

ثم لم تنشر إلا بعد ست سنوات حيث ظهرت قصة: (زواج بالبيع)⁶. وفي العام ذاته نشرت قصة (بين يوم وليلة)⁷ وآخر قصة نشرتها بعد عشر سنوات وهي: (العم أحمد).⁸ ثم لم أجد لها أي أثر آخر وبهذا فإنها رائدة زمنيا لكن لم تتوافر على الشروط الأخرى لكي تصبح رائدة للقصة النسوية.

ووجدت بين عام 1930-1959 إحدى وثمانين قصة منشورة في الصحف والمجلات العراقية وفي مجلة الآداب قصتين للشاعرة نازك الملائكة. وإذا ما أضفنا عليها عشر قصص ووجدتها ضمن الكتب المنشورة يكون عدد القصص المنشورة في الصحف والمجلات إحدى وتسعين قصة، لم أعتز على الكثير منها نصا.

ووجدت من الكتب - بين عام 1948 - ونهاية 1959 - أحد عشر كتابا موزعة بالشكل الآتي:

1- مليحة أسحيق أصدرت ثلاثة كتب: (عقلي دليلي) عام 1948، و(ليالي ملاح) عام 1950، و(رائعة) عام 1952 وهي قصص واقعية أقرب إلى الحكايات تستنتج الكاتبة من كل قصة حكمة فتقترب من القصص الوعظية.

2- حورية هاشم نوري نشرت كتابيها باسم (فتاة بغداد) وبالأحرف الأولى من اسمها الصريح (ح. هـ. ن) هربا من الملاحقة الاجتماعية والسياسية صدرت لها: (دماء ودموع) 1950 الحلقة الأولى وقد ضمت ثلاث قصص: (بائعة الدم) وقد فازت بجائزة جريدة الحصون عام 1949، بائعة الأطفال ونشرت في الأعداد (93، 94، 95، 96) بتاريخ 17-18-19-20/1 من جريدة الحصون على شكل حلقات. والقصة الثالثة (ليلة الحياة) ونشرت في جريدة (الحصون) مسلسلته ابتداء من العدد 89-127، السنة الثالثة في 24/2/1949. وهذا دليل أن بداية (حورية هاشم نوري) هي عام 1949.

و(دماء ودموع)، الحلقة الثانية وتتكون من ثلاث قصص: (بريد القدر) ونشرت في جريدة الحصون ابتداء من العدد 168-202-1950. أما القصة الثانية (خالصة البريئة) ويبدو أنها نشرت في المجموعة مباشرة وكذلك القصة الثالثة (من خفيا القصور) ونشرت المجموعة كلها في نهاية عام 1950، وقد جنستها القاصة تحت عنوان قصص عراقية، ولم تشر الكاتبة للقصة الثالثة على جلد الكتاب ربما لقصورها إذ لم تتجاوز ثلاث صفحات وربع الصفحة بينما تقاسمت القصتان بقية الكتاب فأخذت القصة الأولى 38 صفحة والثانية 20 صفحة. وهذا الأمر مقبول في منهج التأليف القصصي، لكن الكاتبة يبدو لم تكن مقتنعة بالقصة القصيرة ولهذا أكتفت بذكر قصتين فقط على خلاف كتابها. ويعدها د. عمر محمد الطالب اتجاها رومانتيكيا مشيرا إلى قصصها العراقية " (دماء ودموع) لفتاة بغداد. وهي رومانتيكية مشوبة بالواقعية لم تشكل جوانبها المختلفة⁹ لكننا لاحظنا ومن عناوين ومضامين قصص هذه المجموعة بحلقتيها اتجاها واقعي، عكس يؤس الواقع السياسي والاجتماعي للعراق في تلك الحقبة من تاريخه.

3- حربية محمد: (جريمة رجل)¹⁰ 1952. هي قصة أو حادثة وقعت في مدينة راوندوز، وهي قصة قصيرة لم تتجاوز ثلاث عشرة صفحات من الحجم المتوسط، حول شابة لم تتجاوز ستة عشر ربيعا لاحقا رجل عمره خمس وأربعون سنة، واستطاع أن يوقعها فأحبته وتزوجها وأنجبا طفلة، صار عمرها سنتين، وعلى أثر رسالة جاءت من أهله تخبره بأن والده قد مات. سافر الرجل وعند وصوله لم يكن والده الذي مات بل والد إحدى زوجاته وظهر أن لديه خمسة أطفال من زوجته، وكان يحب الأولى ويطيعها وبقي هناك دون أن يعلم أن زوجته التي تركها أنجبت له ولدا ولكنها خسرت أمها التي توفيت فجأة. طلبت الطلاق وبعد معاناة تعرفت على شاب وسيم طلبها للزواج وكان حنينيا عليها وعلى طفليها. نهاية سعيدة كما هو حاصل في قصص الواقعية الساذجة.

و(من الجاني)¹¹ 29 صفحة مع أربع صفحات كانت مقدمة كتبها الكاتب خضر الولي 1954، وتتكرر الملاحظة السابقة حول واقع العراق وما يخفيه من تناقضات وصراعات بين أفراد المجتمع.

4- ناجية أحمد حمدي، (4نساء)¹²، رواية 98 صفحة، 1955. وبعد انقطاع طويل أصدرت: (أبو حميد)¹³ قصص ورسائل 1977. وهو الكتاب غير داخل في زمن بحثنا، يمكن الاستفادة منه في المقارنة بين بداياتها ومدى التطور في تجربتها الفنية.

5- سافرة جميل حافظ، (دمى وأطفال) مجموعة قصصية صدرت عام 1956، وبعدها (هم ونحن والقادمون) الجزء الأول 2007، و(هم ونحن والقادمون) الجزء الثاني، 2012، (14قصة)، بدون تاريخ نشر، (فناجين للدموع المقدسة) مسرحية من فصل واحد 2009/5/1. وهنا لا بد من تعليق وجدت أن سافرة

تتمتع بالكثير من شروط الريادة. فكانت متميزة بين أقرانها ومستمرة لحد كتابة هذا البحث على الكتابة وحضور الفعاليات الأدبية، ينتمي زمنيا ومكانيا وأحداثا وشخصيات ولغة إلى ذلك الزمان، واعتقد أن ظروفها سياسية واجتماعية منعته من النشر، وهذا ما أكدته في لقاء خاص معها في جريدة الشرق الأوسط أطلعت عليه لاحقا: " كنت أمارس الكتابة دون النشر لعدم رغبتني في النشر تحت ظل ذلك النظام"،¹⁴ وربما هذا ما جعلها لا تؤرخ مجموعتها (14 قصة). نستنتج من ذلك أنها لم تعتمد تاريخ الكتابة وإنما اعتمدت تاريخ النشر دون أن تعلم بأن هذا الإهمال سيلحق الأذى بمنتجها الذي ابتعد كثيرا عن النظريات الحديثة في الكتابة. ومقارنة بين المرأة الشاعرة والقاصة ذكر د. عمر الطالب أن أبرز القاصات العراقيات " لم يصلن إلى الدرجة التي وصلتها المرأة العراقية في الشعر. ومن أشهر القصصيات (سافرة جميل حافظ) و(سميرة المانع) و(فتاة بغداد) و(مليحة اسحاق) و(زينب) وسالمة صالح".¹⁵

6-ليلي عبد القادر. قصة (نادية)،¹⁶ الجزء الأول صدرت عام 1957 وجنستها (قصة) رغم أن عدد صفحاتها بلغت (124) من الحجم المتوسط، ومقدمة من 15 صفحة لم تكن لها ضرورة، لأن الكاتب بدأ يوضح ما دار في الحدث، والقصة الناجحة لا تحتاج من يوضحها للقارئ، والعمل الإبداعي الناجح يصل للقارئ من دون وسيط أو ولا جدوى من التعريف بالكاتب للوصول إلى صلب تجربته السردية. ولا ندري لماذا لمتمسها رواية، كما يطلق الآن على الكثير من الكتب حتى وإن كانت أقل من هذا الحجم، لكن د. عبد الإله أحمد تعامل معها كرواية: " فهي تبدو للقارئ منذ الوهلة التي يأخذ بقراءتها، عملا روائيا حقا بني على هذا النهج "التقليد" الذي بنيت عليه روايات القرن التاسع عشر في أوربا"¹⁷ ولا أحد قد ذكر شيئا عن الجزء الثاني. بحثت عنه ولم أجده. يبدو أنه لم يرَ النور إطلاقا.

7- بدور درويش أصدرت قصة (الصبر طيب) عام 1959، وتوقفت لم نجد لها أي نشاط في الجانب الثقافي ولا في غيره.

التطبيق/ سافرة جميل حافظ اختيارا

تعد (دمى وأطفال وقصص أخرى) من المجاميع القصصية الرائدة لسافرة جميل حافظ، نشرتها عام 1956. والقاصة واحدة من الأديبات والذين سعوا إلى تجنب المباشرة في قصصهم، لكي يوفروا لها قدراً من الفنية، نتيجة تطورهم الفني بسبب تنوع ثقافتهم، مما جعلهم يبتعدون عن البساطة في نتاجاتهم، على الرغم من تناولهم لشخصيات مسحوقة، مهمشة، وموضوعات واقعية مبتعدة عن الهدف السياسي المباشر.¹⁸ تدور أحداث قصصها في حواري بغداد القديمة وفي ريفها المجاور لبغداد.

في القصة الأولى (دمى وأطفال) للوهلة الأولى يظن القارئ أنها سوف تتناول معاناة أطفال الفقراء والفروقات بينهم وبين أبناء الأغنياء، ولكن عندما نبدأ بالقراءة نجد أننا أمام تجربة مختلفة، معاناة إنسانية تشعر بالضجر فتخرج للشارع وفي داخلها حوار داخلي " تحس بغموض يكتنف كل حجيرة من حجيرات جسمها، كل نبضة من نبضات قلبها ولا تدري كنهه"¹⁹ وفي الشارع التي هربت إليه يأتيها منبه سيارة فتفسح لها الطريق لتجتازها فيقع نظرها على طفل يلهو مرحا بلعبة وهو يقف في الجزء الخلفي من السيارة، رآته "يشدها إليه تارة ويقذفها بعيدا عنه تارة أخرى اللاعب طفل (ذكر) والدمية (أنثى) فجعلت منها معادلا موضوعيا لمعاناة الراوية التي لم تنتظر طويلا لتكشف عن معاناتها: "دمية يلهو بها الصغار، هكذا أنا، دمية ليس إلا... تارة أفذف إلى الخارج وتارة أخرى أشد بقوة إلى الصدور، فتعلو وجهي أنفاس لاهثة كاذبة، بل كاذبة جدا في كل ما تدعي..."²⁰ وتسقط تجربتها على "الصاعدين والنازلين من الباص وإليه" ورغم أنها لم تفرق بين الجنسين إلا أن انحيازها للمرأة جعلها ترى من خلال ما يراه السائق (المذكر): كانت عيناه غائرتين

تنظران إلى الصاعدين والنازلين من الباص مجرد دمي.²¹ وتنتقل بحوارها الداخلي بين الرجال والنساء وتتعنتهم بالدمى؛ سواء أولئك الذين لا تعرف بماذا " تتحدث عقولهم " إلى جانب النساء اللاتي كن في غاية الزينة، أعادها هذا المشهد إلى لعبة الدمى، واستوعبت القاصة تجربة السائد من العراقيين والعراقيات موظفة إحساسهم بالفراغ القاتل، بدون إرادتهم يلهون ببطاقات أجور (الباص) السيارة التي تقلهم من مكان إلى آخر، حيث يدعونها كدمية يلعبون بها، دون فائدة أو متعة، وكأنهم يمتصون ضجرهم ومعاناتهم... ثم يرمون بها في بركة ماء راكدة، وكأنهم يتمتعون بالحرية الوحيدة، المتاحة لهم في واقعهم المرير، إذاً نحن أمام قصة ناجحة ليس فقط ارتباطاً بزمناها وريادتها، وإنما تتسجم مع الواقع الحالي رغم اختلافه نتيجة للتطور التراكمي الكبير بعد مرور أكثر من ستين عاماً على كتابتها ونشرها في جريدة الأخبار - العدد 4373 - السنة 18 - 10 شباط - 1956.

(حصة الكلب) القصة الثانية في المجموعة نرى أن القاصة لا تبتعد عن أجواء قصتها الأولى الضجر والملاحة وحرارة الجو المحرقة، و(الباصات) وانتظارها تشكل الطقس العام لهذه القصة ووقع اختيارها شخصية (حسن) ليكون بطل قصتها، وهو فقير جداً لا يمتلك أكثر من عشرين فلساً عشرة أجرة (الباص) ذهاباً والأخرى للعودة، كان يرغب بشراء شيئاً مما يباع في الشارع. اختارت القاصة سافرة جميل هذه الشخصية كرمز لأبناء الفقراء، ويبدو أن هذه الشخصية لا تنتمي إلى المدقعين الجياح لأن في جيبه عشرين فلساً وهو مبلغ ليس قليلاً في زمن الخمسينات، قبل الجمهورية ولكن يبقى فقيراً قياساً لغيره من أبناء المترفين وهم القلة القليلة. وهذه الملاحظة لا تقلل من حسن اختيارها لهذه الشخصية التي فرحت بحصولها على (صمونة)، ومع ذلك سقط منها جزء على الأرض فكانت حصة للكلب الذي كان يتربص لمثل هذه الغنيمة، وربما رمزت به إلى تلك الطبقة التي لا يهدأ لها بال دون تلحق الأذى بالطبقات المسحوقة، لتشاركها لقمة عيشها.

أما في قصة (بائع الدوندرمة) التي نشرتها في مجلة الأهالي أيلول عام 1954، نرى اهتمام الرواية بالطبقات الفقيرة: بائع (الدوندرمة)، بائعة الخبز يتبادلان البضاعة فتقدم رغيف خبز ويقدم لها كأس (بسكت) مملوء ببضاعته. وتظهر مجموعة الأطفال يلعبون بكرة القدم، ويتوقون لتذوق (الدوندرمة)، لكن جيوبهم الخاوية لا تسعفهم فينسون رغبتهم ويستمررون بلعبة كرة القدم. أجواء القصة ليست بعيدة عن قصصها السابقة، شخصيات متناقضة فبائع الدوندرمة الفقير والمشوه وجهه يقتل ولده الوحيد، طفل لا يعي شيئاً، بحجة كان يصرخ وهو يقرأ القرآن، فرفعه بعلو هامته وضرب به الأرض فمات. حتماً وراء هذا الفعل ليس قراءة القرآن، معاناة اجتماعية ومادية وجهل وأميه وجزع من الحياة الصعبة، دفعه لارتكاب هذه الجريمة دون تعمد أو وعي بما سوف يحدث. وتنتهي القصة بتوزيع ما تبقى من بضاعته على الأطفال الفقراء وهو يتذكر ولده المقتول.

في هذه القصة وصفت القاصة بؤس العربة وبؤس صاحبها، وعمقت مشهد الفروقات الطبقيّة، فقد اختارت امرأة نظيفة يبدو عليها سمات الغنى، تشتري منه (دوندرمة) لابنتها، بينما يتعذر ذلك على الأطفال الفقراء الذي يربط البائع بينهم وبين ابنه المقتول، وتنتهي القصة بشكل غير مباشر حيث جعلته الرواية يتبرع ببضاعته للأطفال الفقراء.²²

أختلف مع الدكتور عبد الإله أحمد الذي يرى أن النهاية كانت مفاجأة للمتلقي حيث تحولت الشخصية القاتلة إلى شخصية طيبة، فقد قرأتها بشكل مغاير حيث أن الأب لم يكن شريراً بطبعه، ولم يكن ما فعله مع ابنه هو القتل المتعمد وبينت سبب غضبه، وأرفض تصرفه النابع من بؤسه وبؤس الحياة التي يعيشها، هو لم

يخطط للقتل ولم يتوقعه، إنما كانت ردة فعل نفسي، ونقص في التربية والثقافة، بدليل استنكاره لولده الوحيد، وتألمه على فقده، والربط بينه وبين الأطفال الفقراء الذين لا يستطيعون شراء بضاعته لفقرهم، هو تمهيد لنهاية القصة بعودته مع عربته الفارغة وهكذا جاءت النهاية" وفيما كانت عربته تجلجل في سكون الشارع، كان الأطفال " يمصصون" أفداح البسكت بلذة وهدوء...²³

في قصتها (أولاد المساحي) من عتية العنوان يظهر الدافع الطبقي لكتابة هذه القصة، وهذا متحقق في القصة لكنها كتبت عن الصراع بين الآلة الحديثة والمساحة القديمة حيث يلتقي شيخ وصبيه وحمارهما من جهة والآليات التي دخلت المدينة وتدور أحداث القصة على شاطئ النهر حيث اعتاد الشيخ أن يحفر من جرف النهر ويحمل الرمل على حماره الهزيل ثم ينقله إلى الجانب الثاني... وبدأت بجانبه السيارات الكبيرة ومعها جرافات تحفر الرمل وبسرعة متناهية تملئ به عربة السيارة الكبيرة وتتطلق بينما هو يبحث بتأن وبطء شديد. ومن خلال الحوار مع صبيبه يظل الرجل متمسكا بمهنته وبالمستقبل لأن لا بد أن يمتلأ هذا المكان بالماء فيزداد ربحنا... ولكنه يستدرك قائلاً أن الشيخ سيربح وبيوتنا الصغيرة ستعوم فوق الماء.

لقد عالجت القاصة من خلال هذه اللقطة قضية غاية في الأهمية فائدة الآلة عندما تدخل في الاقتصاد، ومن الربح منها في نظام يحكمه الإقطاع والرأسمالية الحديثة، حتما ستكون الطبقة الفقيرة وقودها.

ونقرأ قصة (السنوات الأولى) التي نشرتها جريدة البلاد، في عددها 4668 بتاريخ 1956/6/10، وتناولت موضوعا له علاقة بمعاناة تلميذات الابتدائية، ووظفت القاصة - على لسان بطلتها- مسرحية كتبتها الطالبة اقتباسا، لكن المعلمة رفضتها رغم الإشادة بنجاح الاقتباس قائلة: " - أنها جميلة، وجيدة الاقتباس أيضا ولكن أتصور أنها لا تلائم سكنكن.."²⁴ ولم يفهم موقف الطالبة الثانية التي أجابت: كلا وخرجت غاضبة كان موقفها غامضا. كل هذا جاء من خلال استرجاع الطالبة التي كتبت المسرحية أثناء الهمس بينها وبين زميلتها أثناء الدرس ويبدو أن زميلتها كانت تعرف شيئا عن زميلتها (سلوى) وأرادت أن تبوح بما تعرف لكن المعلمة أنهت القصة نهاية مفتوحة عندما أذرتهما بالطرده خارج الصف...!²⁵ وجدت أن هذه القصة بحاجة إلى بعض الإيضاحات للتخلص من الغموض المخ.

(ثم الجنين) قصة نشرت في مجلة السينما، العدد 23، السنة الثانية في 1956/2/23. تحكي حالة اجتماعية لا يقبلها المجتمع تبدأ القصة بسماع بكاء طفل عبر سطوح الجيران من قبل طفلة من الحي وهي تمارس هوايتها بالتسلق جدران السطوح الملتصقة مع بعضها، لكن صوت البكاء يأتي عبر بيت جدرانه عالية لا طاقة للفتاة لتسلقه، وقد عرفته أنه ابن عمشة، وعندما استنجدت بأمها، نهرتها الأم ومنعتها من فعل أي شيء ولمحت بسقوط عمشة الأخلاقي وأن والدها إنسان غير شريف، دفع له لكي يبقي الطفل عنده. تسترجع عمشة طفولتها، وفقر أبيها وتعاسته وعدم قدرته على رعاية ابنته، لدرجة لم يستطيع شراء قطعة خبز وتركها تتضور جوعا... وتتهي الكاتبة القصة ببقاء الطفلة تصرخ وأمها تسمع صراخها وتتألم مستذكرة أجواء قديمة ولعل بكاءها " يعيد نفس الأنغام السابقة" وتركت النهاية مفتوحة للقارئ تدور في ذهنه أسئلة كثيرة هل حالة ولادة عمشة متشابهة مع ولادة ابنها، أم حالة الفقر والعوز وما يتركه من مشاكل اجتماعية واقتصادية وما ينتج عنهما من تخلف ثقافي، مسببا تلك الإخفاقات والنواقص المتواصلة...

وفي قصة (لكي نعيش)- والتي نشرت في مجلة السينما العدد36، السنة الثانية في مايس 1956- نتعرف على عائلة هاربة أو مهاجرة، مع عائلات كثيرات يعيشون في أكواخ متجاورين، يقتسمون غربتهم الإيجابية، وهذه العائلة تتكون من رجل وزوجته التي كانت حامل بولدها البكر عندما هربا، من القرية وكانا خائفين من رجال الشيخ على الرغم من أن كريم قد وفى ديونه قبل أن يغادر، لم يكن مطلوبا لهم بفلس واحد.

ولكن يبدو أن العمل في أرض الشيخ كان إجبارياً وإلا لماذا يهرب في منتصف الليل إلى مصير مجهول في المدينة التي لا يعرف عنها شيئاً، كان المجهول أرحم إليهما من المعلوم المقبوت، فكل الذين هربوا كانوا يكدحون في أرض لا يملكونها ويعشون ذليلين مطلوبين. لقد نجحت القاصة في نقل هذه الصورة المعتمة لعدد كبير من الفلاحين في زمن الإقطاعية العهد الملكي المباد.

في قصة (قبل الفجر) - نشرت هذه القصة في جريدة البلاد، العدد 4689، السنة 27، في 7/1/1956. وبطلها جاسم كأنه امتداد لكريم بطل قصة (لكي نعيش) فهو يعيش مع مجموعة كبيرة من الكادحين في أكوخ هارين من قراهم ولكي يعيش اختار العمل عند أحدهم صيادا للسماك، طلب من زوجته أن توقظه فجراً لكي يلتحق بعمله، ولأنه كان يسعل طول الليل ويتنفس بصعوبة عطفت عليه ولم توقظه في الوقت المحدد بل ذهبت لتجلب له ماء من النهر دون أن تترك، أن فعلتها هذه أدت إلى خسارة عمله...

ونقرأ قصتها الأخيرة " وما هو ماء " ! وهي الثانية بعد قصة (حصاة الكلب) لم تنشر في الصحافة العراقية كما بقيت القصص في هذه المجموعة. وتتناول هذه القصة جانباً مهماً من حياة الريف وهو الماء والأضرار التي يسببها في حالة اختفائه وتأثير ذلك ليس فقط على الزرع وإنما حتى على أطفال القرية الذين اعتادوا السباحة في الماء التي تسحبه المكينة من أعماق النهر أو البئر الذي يمتد عميقاً في الأرض. كان اختيار القاصة لهذا الموضوع الحيوي لتكتمل صورة الريف العراقي، كما رأته في ذلك الزمان الصعب.

هذه الموضوعات تعد من ملامح تلك الحقبة رصدتها القاصة، فانعكست في قصصها، وقد كشفت عن هذا التوجه: "كنت أثناء اختفائي، أنصت لقصص الكبار من أفراد عائلتي، كيف عاشوا، وما هي ظروفهم واتصالاتهم، وخاصة خالتي، التي أسميتها حسبية في روايتي «هم ونحن والقادمون». كانت الأقرب إلي، وكنت أهرب إلى دارها دائماً، وأبقى هناك لفترات طويلة. راكمت خزينا رائعاً لم أشأ أن أبدده فسكبتة في «هم ونحن والقادمون» الجزء الأول".²⁶

وهي تمثل الاتجاه الواقعي، المتأثر بالواقعية الاشتراكية، ولكنها تقول: "كل الأساليب انتهجها في الكتابة حسب ظروف الحوادث التي سترى في القصة. ترى ذلك في القصص الأخيرة التي حازت على جائزة أحسن قاصة في العراق هذه السنة. وحتى في كتابي الأول «دمى وأطفال» كان أسلوبياً فيه قريباً من الرمزية، مع التمسك بالأسلوب الواقعي. واعتبر ذلك نوعاً من التزاوج في الأساليب"²⁷، التي تبلورت قبل ثورة أكتوبر الروسية 1917 على يد مكسيم غوركي وروايته الشهيرة (الأم) والتي سادت العالم بعد انتصار الثورة.

الخاتمة

من خلال هذا البحث، والذي يمثل جزءاً من مشروع أوسع توصلنا إلى النتائج الآتية:

- 1- دراسة جميع منجز المرأة العراقية في مجال القصة والرواية ليس سهلاً، بسبب ضياع الكثير منه في الصحف والمجلات القديمة، وسوف أعرّض عليه حتماً، ولكن يتطلب مني وقتاً، جهودي متواصلة في هذا المجال.
- 2- أعتقد من الطبيعي تأخر المرأة عن زميلها الرجل في بلد مثل العراق مازالت الأمية سائدة فيه سواء كانت القراءة والكتابة أو الموقف الاجتماعي أو الأمية المعرفية والنظرة المتدنية للمرأة على الرغم من أن هناك تطوراً ليس قليلاً في وضعها بسبب نضالها من أجل حقوقها المختلفة.
- 3- يعزي بعض الباحثين أن سبب غياب المرأة عن ريادة زميلها الرجل، يكمن في ضعف كتاباتها، أو ما كتبتة لا يستحق الدراسة. وهذه ليست حقيقة. بداية الرجل أيضاً لم تكن قوية. جرت دراستها ومنحت

الريادة. له. وهو يستحقها فعلاً. ولكن لا يمكن أن نبخس دور المرأة في هذا الجانب وكانت بدايتها مبكرة نسبياً.

4- الريادة ليس مرتبطة بزمن معين. فإذا جرى الاتفاق على ريادة محمود أحمد السيد عام 1921، فيمكن أن تكون ريادة المرأة عام 1950. غن لم تكن عام 1923.

5- تعد سافرة جميل حافظ الرائدة الأولى بناء على ما كتبه من قصص فنية وظفت فيها جمالية اللغة العربية والأساليب الحديثة مثل الحكمة والمعادل الموضوعي والحوار الداخلي والمشهد الحواري فضلاً عن مواصلتها حضوراً وكتابة ونشراً ...

6- هذا البحث هو جزء من دراسة لموضوع شائك وصعب بسبب قلة مصادره، لكنه يشكل بداية وضعت لها خارطة طريق مفصلة سوف تسهل تنفيذ مشروعي المستقبلي، وخطوة ألف ميل تبدأ بخطوة واحدة. كما يقول المثل الصيني.

الهوامش:

¹ ينظر: نشأة القصة وتطورها في العراق 1908-1939، عبد الإله أحمد، مطبعة شفيق - بغداد، 1969، ص 56.

² انظر (عبد الإله أحمد فهرسة القصة العراقية ص291) - ومنشورة في (الناشئة الجديدة) - العدد 4- السنة 1 - 22ك2 1923.

³ جريدة الشرق الأوسط الأحد 23 صفر 1434 هـ 6 يناير 2013 العدد 12458

⁴ أنظر: الزمان والمكان في روايات غائب طعمة فرمان، د. علي إبراهيم، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2002: ص74

⁵ الناشئة الجديدة، العدد 4- السنة 1 - 22ك2، 1923.

⁶ الهاتف، العدد 155 - السنة 4- 17 شباط 1936.

⁷ الهاتف، العدد 159- السنة 4- 17 مارت 1939.

⁸ الهاتف، العدد 518- السنة 14- 21ك2 1949.

⁹ القصة القصيرة الحديثة في العراق، د. عمر محمد الطالب، ساعدت جامعة الموصل على طبعه 1979: 167.

¹⁰ (جريمة رجل)، حربية محمد، ط1، مطبعة الجامعة - بغداد 1953.

¹¹ (من الجاني)، قصة طويلة، حربية محمد، مطبعة الجامعة - بغداد، 1954.

¹² (4 نساء)، ناجية حمدي، مطبعة المعارف - بغداد، 1955

¹³ (أبو حميد ورسائل)، ناجية حمدي، مطبعة الجاحظ، للطباعة والنشر - بغداد 1977.

¹⁴ جريدة الشرق الأوسط الأحد 23 صفر 1434 هـ 6 يناير 2013 العدد 12458

¹⁵ القصة القصيرة الحديثة في العراق، م. س : ص 148

¹⁶ نادية، قصة، ليلي عبد القادر، مطبعة المتنبّي، 1957.

¹⁷ الأدب القصصي في العراق، م.ن: ص 179

- ¹⁸ ينظر الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية، الكتاب الثاني، د. عبد الإله أحمد، دار الحرية للطباعة، بغداد 1977:ص 80
- ¹⁹ دمي وأطفال وقصص أخرى ، سافرة جميل حافظ، منشورات اتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ط3، 2017، ص5.
- ²⁰ م.ن: ص5.
- ²¹ انظر: م.ن. ص6
- ²² أنظر: الأدب القصصي في العراق ، م.ن : ص 90
- ²³ دمي وأطفال م.ن. ص 27
- ²⁴ دمي وأطفال وقصص أخرى: م.ن: 40
- ²⁵ ينظر م.ن: 43
- ²⁶ جريدة الشرق الأوسط ، العدد 12458، الأحد: 23 صفر 1434 هـ 6 يناير 2013
- ²⁷ جريدة الشرق الأوسط م. ن

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع

- 1- الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية، الكتاب الثاني.
- 2- (أبو حميد ورسائل)، ناجية حمدي، مطبعة الجاحظ، للطباعة والنشر- بغداد 1977.
- 3- (4 نساء)، ناجية حمدي، مطبعة المعارف - بغداد، 1955.
- 4- (جريمة رجل) ، حربية محمد، ط1، مطبعة الجامعة - بغداد 1953.
- 5- جريدة الشرق الأوسط ، العدد 12458، الأحد: 23 صفر 1434 هـ 6 يناير 2013.
- 6- دمي وأطفال وقصص أخرى ، سافرة جميل حافظ، منشورات اتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ط3، 2017.
- 7- الزمان والمكان في روايات غائب طعمة فرمان، د. علي إبراهيم، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2002.
- 8- فهرسة القصة العراقية، د. عبد الإله أحمد،
- 9- القصة القصيرة الحديثة في العراق، د. عمر محمد الطالب، ساعدت جامعة الموصل على طبعه 1979.
- 10- (من الجاني)، قصة طويلة، حربية محمد ، مطبعة الجامعة - بغداد ، 1954.
- 11- الناشئة الجديدة، العدد 4- السنة 1 - 22ك2، 1923.
- 12- نادية ، قصة ، ليلي عبد القادر، مطبعة المتنبّي، 1957.
- 13- نشأة القصة وتطورها في العراق 1908-1939، عبد الإله أحمد، مطبعة شفيق - بغداد، 196، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977.
- 14- الهاتف، العدد159- السنة4- 17 مارت 1939.
- 15- الهاتف، العدد 155 - السنة 4- 17 شباط 1936.
- 16- الهاتف، العدد518- السنة 14- 21ك2 1949.